قناديل لطفيّة وردّ الجميلي

علاء المفرجي

لم يكن الأمر يتعلق بمناورات بالذخيرة الحية، أو تهديد باجتياح عسكري يهدد نفوذ (مسؤولي ثقافتنا)، بافتراض أن هذا هو المنطق السائد في وزارة دفاع – ثقافتنا.. فالأمر كان مجرد وجهة نظر لا غير في ما خص مشروع (بغداد عاصمة للثقافة العربية) الذي نسمع جعجعته منذ أكثر من عام من دون أن نرى طحناً، رغم انه لم يتبق على انطلاقه كحدث سوى أيام معدودات.

وجهة النظر هذه أدلت بها الروائية والقاصة لطفيّة الدليمي في عمودها (قناديل) الأسبوعي في المدى، وتتعلق بمدى (صلاحية) بغداد في أن تكون عاصمة للثقافة العربية، وهو سؤال لا شك في أنه ينطوي على أسئلة، وأسئلة لها ما يبررها وهو لا يستدعي على أية حال رد الفعل المتشنج، من قبل مدير إعلام وزارة الثقافة في ردّه المرتبك والمليء بالشتائم لكاتبة العمود الروائية المعروفة لطفيّة الدليمي، والتي أكاد أجزم أن عبد القادر الجميلي وهو اسم مدير الإعلام لوزارة الثقافة لا يعرفها من قبل، ولا يعرف منجزها الإبداعي أو موقعها في الثقافة العراقية المعاصرة إلا عندما تجرأت لتسأل مثل هذا السؤال، والتي ما كانت لتسأله لولا حبّها لمدينتها التي ترى فيها ومنذ تأسيسها قبل عاصمة ثقافة ليس للعرب فحسب، بل للعام كله، وليست عاصمة للثقافة بـ(مشروع) الثقافة أبعد ما تكون عنه.

القراءة الخاطئة التي دفعت (المدير) للرد على لطفيّة الدليمي جعلته ينسب متوهما وصف (وزارة دنبكجية وراقصات) إلى الدليمي من دون أن يفهم إشارتها إلى (القصور الاعتباري إزاء نظرة المؤسسة السياسية لها) وهو ما، جعله يكيل الشتائم والسباب لأحد الأسماء المهمة في المشهد الثقافي العراقي والذي يفترض بمدير إعلام الثقافة أن يقدم أهميته وموقعه في الثقافة العراقية.

في قناديل لطفيّة الدليمي التي كان لرد (المدير) الفضل في أن نعرف أن لها (أي القناديل) ثمارا يانعة وطعما لذيذا يسر الناظر (كذا؟)، في هذه القناديل وهي عمودها الأسبوعي تطرح الدليمي أسئلة كثيرة كان حريا بالسيد المسؤول أن يجيب عليها لا أن يحدثنا عن (حشد وطني) أو أن المشروع (لا يستثني مكوناً)، وما إلى ذلك مما ليست له علاقة بالثقافة .

الرواية العراقية في العقد الأول من القرن

واقع وحقائق ومؤشرات

د. نجم عبد الله كاظم

القسم الثاني

في ضوء هذا كله، وعودةً إلى ملاحظات مَن نرد عليهم هنا التي أجملناها سابقاً، نسجل ملاحظاتنا في ما يأتي عن واقع الرواية العراقية خلال العقد الأول من هذا القرن، وهي ملاحظات تقوم غالباً على وقائع، مع بعض الاجتهاد الذي يحتمل الإصابة وعدمها، كما يحتمل، وفقاً لهذا، الأخذ والرد واختلاف الرأي. وتعلقاً بالمعايير التي اعتمدتها في ملاحظاتي، نعتقد أن العدد يبقى معياراً، ولكنه معيار أولي إلى جانب معايير عديدة أخرى هي بالتأكيد أهم. وهكذا كانت المعايير هي: العدد، والفن أو الجودة، والكتابة النقدية عن الرواية، والشيوع أو الانتشار وما قد يتعلق بذلك من تحقيق الإمتاع، ونيل الجوائز، والتجديد وتحقيق الجديد، وتحقيق الهوية المحلية والقومية، إضافة إلى معايير أخرى تفصح عن نفسها ضمن ملاحظاتنا.

(٣)

انطلاقاً من هذه المرجعيات والمعايير، نسجل عن رواية العقد الأول العراقية الآتي مما يتراوح، كما قلنا، ما بين حقائق، وهي الغالبة، وضمناً بعض وجهات نظر واجتهادات:

بداية يجب أن نعرف أن عدد الروايات الصادرة خلال فترة عشر سنوات ممتدة من ٢٠٠١ إلى ٢٠١٠ هو ٣٠٠ رواية تقريباً. ولكي يميز القارئ ما يعنيه هذا من ناحية الأهمية والدلالة، نشير إلى أن عدد الروايات الصادرة خلال السنوات العشر السابقة لها والممتدة من ١٩٩١ إلى ٢٠٠٠ هو حوالي ١٥٠ رواية فقط، وبما يعني أن ما صدر خلال العقد الأخير هو ضعف ما صدر في العقد السابق له تماماً.

تعلقاً بالعدد السابق رصدنا ثلاث ظواهر، الأولى وقد أشرنا إليها، نعني أن ما صدر خلال العقد الأخير هو ضعف ما صدر خلال العقد السابق له. الظاهرة الثانية تتمثل في عدد الروايات النسوية، فقد شهدت الفترة المعنية صدور أكثر من ٣٠ رواية للكاتبات العراقيات، مقابل صدور حوالي ٤٠ رواية فقط خلال كل مسيرة الرواية العراقية قبل ذلك. الظاهرة الثالثة تتمثل بما نسميها رواية الخارج أو الغربة، ونعني بها روايات العراقيين المقيمين في الخارج، فقد دخلت هذه الروايات على الخط، وهي ظاهرة واضحة حتى مع صعوبة أو تعذر رصد أعداد ما صدر منها خلال العقد المعني وقبله.

لا أظن بإمكان أي منصف أن يشكك بالمكانة التي احتلتها الرواية العراقية، لاسيما خلال فترة العقد والنصف تقريباً الأخيرة، بين أنواع الإنتاج الأدبي الإبداعي. ويكفي أن نستذكر واقع ما كانت عليه خلال ما يقارب النصف قرن الأول من مسيرتها- من العشرينيات إلى السبعينيات تقريباً، لنعرف ما حققته من مكانة لاسيما إزاء الشعر. فمع أنها كانت قد بدأت تنهض بدءاً من منتصف الستينيات وعلى أيدي فرمان وآخرين لتؤسس لنفسها مثل هذه المكانة، إلا إن هيمنتها، على جزء ليس بالصغير من مساحة الإبداع الأدبي العراقي، بدأت تتحقق مع منتصف التسعينيات او نهايتها.

ولعل ما أكد الذي صارت عليه هو واقع ما حاز عليه الكتّاب العراقيون وأعمالهم من جوائز عربية أو ترشيحات لها. وذلك يعني بالتأكيد أن هذه الرواية قد حققت مستويات ما كانت عليها من قبل، بما في ذلك ما يتعلق بالجديد والتجديد على مستويات الموضوع والمعالج والشكل الفني، بل حتى في مجال التجريب. ودون الدخول في تفاصيل أوجه هذا التجديد، للقارئ الناقد أن يعود إلى العديد من الروايات التي حققت شيئاً من هذا، مثل بعض روايات فؤاد التكرلي، ومحمود سعيد، وجنان جاسم حلاوي، وبرهان الخطيب، وميسلون هادي، وفاضل العزاوي، ونجم والي، ومهدي عيسى الصقر، وعالية ممدوح، ولطفية الدليمي، وعبد الخالق الركابي، وهدية حسين، واحمد خلف، وعلي بدر، وحسن مطلك، ولؤي حمزة عباس، وأنعام كججي، وآخرين.

وبناءً على الملاحظة السابقة، ما كان للرواية العراقية أن تحقق هذا دون أن تكون، على الأقل بعضها، قد انطوت على مستوى فني ومعالجة فكرية وموضوعية وقدرة على الإمتاع. وعليه فواضح الإجحاف الذي نالها ممن وسمها بعدم الإمتاع. ولنا أن نذكر أمثلة على روايات تقف بوجه من يدعي بهذا، "المسرات والأوجاع" و"اللاسؤال واللاجواب" لفؤاد التكرلي، و"ذلك الصيف في إسكندرية" لبرهان الخطيب، و"العيون السود" و"شاي العروس" لميسلون هادي، و"بابا سارتر" و"شتاء العائلة" لعلي بدر، و"سفر السرمدية" لعبد الخالق الركابي، و"شوفوني شوفوني" لسميرة المانع، و"الأسلاف" لفاضل العزاوي"، و"المحبوبات" و"التشهي" لعالية ممدوح، و" زجاج الوقت" و"مطر الله" لهدية حسين، و"الحفيدة الأمريكية" لإنعام كججي.

يجب أن نعترف بأن انتشار الرواية العراقية عموما ليس بالمستوى الذي نتمناه، ولكنه بالتأكيد، ومهما كان حجمه، مُميَّز إذا قيس بما كانت عليه قبل عقود مثلاً. وهكذا لا نريد أن ندّعي أن انتشاراً مرضياً قد تحقق خلال العقد الأخير، بل هو أقل مما نتمنى، ونؤيد ما قال به البعض في هذا الشأن. ولكن لا يفوتنا ما يبدو أنه فاته من صعوبات واقع الثقافة والأدب والنشر في العراق خلال العقدين الأخيرين، بسبب ظروف الحصار والحرب وسقوط بغداد وما تلا ذلك من مآس، مع أن هذا الواقع لم يمنع الانتشار المختلف عن السابق على المستوى العربي. إن هذا الانتشار واختراق الرواية العراقية للحدود القطرية ليكون لها شأن على المستوى العربي، يتجاوز ما كان عليه قبل عقدين من السنوات مثلاً حين لم يكن أكثر من روائيين اثنين أو ثلاثة عراقيين معروفين، ولا أكثر من عدد أصابع اليد الواحدة من الروايات معروفة خارج العراق، وهذا ما يؤيده حصول العديد من الكتّاب والعديد من الروايات على جوائز عربية، ومشاريع ترجمات، على محدوديتها.

يعزز القول بهذا الانتشار، الكتابات النقدية والدراسات الأكاديمية الكثيرة عن الرواية العراقية، وهي من الكم والنوع ما لا تُخطئها عين أو يتجاوزها ذهن. وقد توزعت على آلاف المقالات والدراسات النقدية، والمئات من الأوراق البحثية العلمية، والعشرات من الكتب، ومن الأطاريح والرسائل الجامعية، وكل ذلك داخل العراق غالباً، ولكن مع نسبة منها لا بأس بها في البلدان العربية، ونسبة أقل بطبيعة الحال في الأجنبية.

ومرتبطاً بما تقدم يأتي تدريس الرواية العراقية في في الجامعات العراقية والعربية، ضمن تدريس الأدب العربي الحديث للدراسات الأولية، ومكوِّناً رئيساً لمساقات منهجية في الدراسات العليا، سواء أكان منها ما يتعلق بالرواية والسرد عموماً، أم بالتحليل وتطبيق المناهج النقدية، أو بالدراسات التطبيقية المقارنة. وكثيراً ما شكلت روايات عراقية مفردة محاور أو مواد لمثل هذه المساقات الأكاديمية للدراسات العليا في جميع الجامعات العراقية تقريبا، بل بعضها فرض نفسه في بعض الجامعات العربية.

أما المؤتمرات فلا أظن صعباً على أحد رصد ما استحوذت عليه الرواية العراقية من اهتمام، فكانت هي موضوع عدد منها، وشكلت محاور كثيرة في عدد آخر من المؤتمرات لا يكاد يقل عن الأول. وفي كل الأحوال، لا يكاد يخلو مؤتمر عربي يُعنى بالسرد، وربما بالأدب العربي الحديث، وإلى حد ما النقد العربي الحديث، من أوراق تبحث في الرواية العراقية.

فيما يخص التعبير عن الواقع، نقسّم الإشارة إليه على قسمين، الأول المتعلق بعلاقة هذه الرواية بالواقع العراقي عموماً وضمن ذلك بالمتغيرات التي شهدها على تاريخه الحديث. أما الثاني فهو المتعلق بواقع العراق المعاصر، وبشكل أكثر تحديداً سنوات الحرب وسقوط بغداد وما بعدها. ففيما يخص الأول غريبة جداً أن يكون مثل هكذا تشخيص عن الرواية العراقية، اللهمّ إلا حين يكون القول بذلك عن روائيين بعينهم أو روايات بعينها أو حتى عن مراحل بعينها من مسيرة الرواية العراقية، وإلا كيف لناقد أو دارس أن يقول بهذا (الانفصام) وعدم تمثيل الواقع وأمامه، في تاريخ هذه الرواية، روايات كتاب مثل محمود أحمد السيد، وفؤاد التكرلي، وغائب طعمة فرمان، وعبد الرحمن الربيعي، ومهدي عيسى الصقر، وغيرهم؟. على أية حال استغرابنا أشد إزاء قول من يُفترض أنهم متابعون لواقع الرواية العراقية، بانفصام روايات العقد الأول من هذا القرن الحادي عن واقع هذا العقد وعدم تمثلها له. هنا أعود إلى مفتتح مقالي وتحديداً ما يخص مقولات الموت التي قال بها عبد الله الغذامي وآخرون التي لم يصح منها حتى مقولة واحدة. فالقول بانفصام الرواية العراقية عن واقع السنوات الأخيرة وعدم تمثله ليس خاطئاً وتعميمياً وغير دقيق فحسب، بل هو خطأ كبير وفاحش ويؤكد لا انفصام الرواية عن واقعها، بل انفصام القائلين بهذا عنها. ذلك أن أكثر مراحل تعامل الرواية العراقية مع الواقع كانت المرحلة الحالية. بتعبير آخر، أننا لا نكاد نجد إلا القليل والقليل جداً من روايات العقد الأخير لم يتناول بشكل أو بآخر وبدرجة أو أخرى ومن جانب أو أكثر واقع العقد وما شهده. وربما يصعب علنا هنا أن نعطي أمثلة على ذلك، ببساطة لأننا يجب أن نعطي، في هذه الحالة، عناوين عدد كبير من الروايات.

نعتقد أن غالبية النقاط السابقة، ولاسيما الأخيرة، تعني ضمناً وبدرجة ما تحقيق الرواية العراقية عبر تاريخها، وليس في العقد الأخير فقط، للمحلية والهوية اللتين عاب بعض الكتاب عليها عدم تحقيقهما. وإجحاف حقيقي هو ما تمثل في الادعاء بعدم تحقيق هذا، ولا ندري في الواقع كيف تكوّن هذا الرأي عند أصحابه، وأمثلة الرد عليهم هي أكثر من أن نحصرها في أعمال كتاب بعينهم أو أعمال روائية معدودة.

أخيراً، وإذا ما اتفقنا على جل هذه الملاحظات، وأزعم إنه ليس من الصعب أن نتفق إنْ حرصنا على أن نكون منصفين، كونها وقائع أو تقوم على وقائع، فإن الرواية العراقية، في مسيرتها وعموم عطائها، وفي العقد الأول من القرن الحادي والعشرين بشكل خاص، لهي بخير.. وبظني أن المكان الذي هي فيه الآن سيكون منطلقاً أكيداً لقطع مسافات أبعد.

البرج العاجي

فوزي كريم

حنين إلى الضوء

أفلام قصدتها لمتعة الإدهاش، ولكني لم أفلح في الاستمتاع بهذه الخصيصة التي توهمتها حاجة تنبض في قلب كل شاعر. شاهدت فيلم "بروميثيوس"، و"ليل معتم ينهض"، فوجدتهما إدهاشاً عضلياً، تلعب فيه تقنيات الكومبيوتر دوراً غير ملهم. بعدهما شاهدت "الصياد" و"حنين إلى الضوء". طربت للأول (المخرج الأسترالي دانيل ناتهايم)، لأنه يطيّب خاطري في أن قوى بشرية ما زالت تسعى جاهدة للخير على هذه الأرض سيئة الطالع. أما الثاني فجعلني أرحل مع دقائقه، التي وجدتها إنسانية وبالغة العمق في آن.

المخرج تشيلي يُدعى "باتريشيو غوزمان" (مواليد ١٩٤١)، منصرف في أفلامه إلى التوثيق، وهذا الفيلم وثائقي ولكن بتدبير بارع يصل الوثيقة بالتأمل الفلسفي، بصورة غاية في السلاسة والطواعية. الكاميرا باتجاه صحراء "آتاكاما"، التي تعتبر أكثر الأراضي جفافاً على الأرض. ولكن صفاء السماء بسبب انعدام الرطوبة أصبحت نموذجية لعين وعقل عالم الفلك لمراقبة الكون. وهذه المنطقة كانت أيضاً، حين قام بينوشيه بانقلابه سيّئ الصيت، مكاناً لمعسكرات اعتقال كبيرة، ولمقابر جماعية لأجساد ضحاياه. وهي حتى اليوم مزار الناس الذين لا يكلون بحثاً عن بقايا جثث أحبائهم ممن لم يعثروا عليهم.

فيلم "باتريشيو" بُني على حفنة أفكار لا تخلو من الترويع بالتأكيد. إنه يبدأ مع عالم فلكي يدير تلسكوبا هائل الحجم في منطقة "آتاكاما": يقول إنهم عبر التليسكوب ينظرون إلى فضاء مزدحم بأصداء الماضي. وهو يعني الماضي الزماني حرفياً لا مجازاً، لأن الضوء في حركة تواصله يستغرق وقتاً غاية في الطول، فكلما نرى نجماً بأعيننا المجردة، أو غير المجردة، إنما نرى حدثاً تم في وقت بعيد عنا تماماً. ولأن الصوت ينتقل أبطأ من الضوء، فإن الأجهزة التي تنصت إلى المجرة سوف تلتقط في يوم ما آت، وهذا أقصى آمال الفلكيين، أصداء "الانفجار الكبير"، أو لحظةً مطلع الكون، الذي تتحدث عنه النظرية الفلكية بثقة كبيرة.

ثم يواصل الفلكي الحديث بقوله "إن الحاضر لا وجود له". وهو كلام قد يوحي بأنه تصور فلسفي خالص، ولكنه في الواقع بيان لحقيقة علمية بأن هناك دائماً انقطاعاً في الزمن يحدث بين الشيء عند حدوثه وبين اللحظة التي نراه فيها، ولا فرق إذا كان الأمر يتم في مليون جزء من الثانية أو في آلاف من السنين. إن الماضي حاضر معنا دائما، ما تحتاجه هو فقط أن تنقب أعمق كفاية. وهذا الأمر سرعان ما يأخذ في الفيلم مشاهد عدد كبير من النساء التشيليات، المتشبثات بحق البحث عن موتاهن، يمشطن براري "آتاكاما" أملاً بشظايا من موتى ماضيهن القريب. إنهن ينخلن الصحراء بحثاً عن بقايا عظام وأشياء أحبائهن الذين قتلوا على يد زمرة بينوشيه وميليشياته.

إن العظام – يذكرنا الفيلم على لسان الفلكي – مصنوعة من الكالسيوم، وهذا الكالسيوم الذي يشكل مادة جسدنا إنما تشكل هو ذاته في حدث "الانفجار الكبير" في أولى لحظات تشكل الكون. إن هذا الكالسيوم إنما يؤسس لرابط بين بحث النساء عن رمم الموتى المفقودة في غمرة الماضي وبين بحث العالم الفلكي عن رمم نجوم قد تكون زالت منذ آلاف السنين. كلاهما مستغرقان في محاولة اكتشاف الماضي. وكأن منطقة "آتاكاما" كوكبٌ آخر بعيد ومراقب من فلكي من كوكب ثان. أحد المتحدثين في سلسلة الحوارات يقول بأن تشيلي "تحتاج إلى مرصد قادر على دراسة وسبر غور عالمها الأرضي، واكتشاف أجساد ابنائها المفقودة، والكشف عن جذور آلامها التي لم تجد مستقراً."

في أحد المشاهد الأخيرة تعرض علينا الشاشة جداراً من صور حائلة اللون لوجوه آلاف الأشخاص الذين غُيبوا في المقابر الجماعية، تتماهى مع كوكبة فلكية من النجوم، تنبض باهتة من أعماق الماضي. والموسيقى المصاحبة ملائمة تماما. ومن مقعدي الوثير في الصالة المظلمة رأيت وجوهاً أعرفها وأخرى لا أعرفها ولكني قادر على تخيّلها، من قتلى مقابرنا الجماعية نحن أيضاً. ولكن قتلانا مثل نجومنا الليلية تنبض دون مخرج سينمائي رقيب، ولا عالم فلكي رقيب.

بيتنا الثقافي يستذكر (ابو سرحان)

بغداد / معتز رشدي

أقام "بيتنا الثقافي" حفلا استذكاريا للشاعر الشعبي الكبير (أبو سرحان)، قدم
له الكاتب والإعلامي طه رشيد. كان الحضور كبيراً، ومتنوعاً ، بحق . تكلم ، أولاً ، الشاعر
عريان السيد خلف عن ذكرياته مع الراحل ، فقد كانت انطلاقتهما واحدة ، وفي رحاب ميل
سياسي واحد ، هو ميلهما اليساري في نهاية سبعينيات القرن الماضي . تكلم بعده الشاعر والناقد
ريسان الخزعلي ، عن أدب (ابو سرحان) ، ورموز شعره الغنية ، والضاربة ، عميقا ، في
وجدان الناس ، ومنها : المسيح ، غيفارا ، العباس ، الحلاج ، والسندباد ، خاتماً مداخلته
الغنية ، والمتشعبة في تتبعها لرموز شاعرنا ، بمقطع من شعره الرائع :

دواير
تلتم الدنيا دواير
وتنتهي الدنيا دواير .

أما القاص المبدع (داود سالم) ، فقد أعرب ، في مداخلته القصيرة ، عن سعادته الكبيرة
بامور عدة ، منها : استذكار الراحل في مثل هذا الظرف ، وحجم الحضور المؤثر والكبير ، ووقوف الحزب
الشيوعي العراقي ، دون سواه ، خلف عملية الاستذكار هذه ، معتبراً اياها ، بمثابة التفاتة مخلصة من قبل
الحزب لواحد من خيرة شعراء العراق الشعبيين ، ان لم يك أبرزهم .

ربما كان الشاعر رياض النعماني ، أشد المتحدثين عنه حميميةً، بسبب من غنى حديثه
بالتفاصيل ، فقد عاشا معاً سنوات الصخب البيروتي، يوم كانت بيروت قبلة مثقفي اليسار
العربي الهاربين من جور انظمة بلدانهم. انها ، ايضاً ، السنوات التي تعرض فيها الشاعر
إلى أشد أشكال المعاناة، والتي حاول بسبب قسوتها الانتحار غير مرة ، معاناة تفاقمت
بسبب ابتعاد الشاعر عن وطنه، وعائلته ، وما كانت عائلته ، حينذاك ، سوى
زوجة وطفل أحبّه شاعرنا حد العبادة. تكلم ، بحزن، عن ظروف اعتقاله من قبل ميليشيات
جيش الكتائب اللبنانية، المتحالفة مع نظام البعث في بغداد، اعتقال لم يعد منه (أبو سرحان) إلى
يومنا هذا، أي منذ أكثر من اثنتين وثلاثين عاماً عجافاً. أما الملحن الكبير (كوكب حمزة) فقد
أرسل رسالة امتنان لكل من شارك في حفل استذكار شاعر
بقامة ابي سرحان، وكوكب
لحّن للشاعر أكثر من قصيدة ، ربما كانت أقربها إلى النفس
قصيدته (حدر التراجي
برد).
كانت جلسة رائعة بحق، تخللها غناء وعزف عود للفنان
الماهر جعفر عبد جاسم .

"عربانة" العراق الذاهبة صوب المجهول!

لندن/عدنان حسين أحمد

استضافت مؤسسة الحوار الإنساني بلندن الفنان والمخرج جمال أمين في أمسية سينمائية حملت عنوان "جمال أمين ممثلاً" وقد أدارها كاتب هذه السطور، وفعّل الحوار بين الضيف وجمهور الحاضرين. وقد تمّ عرض فيلمين من الأفلام التي اشترك فيها وهما "صائد الأضواء" إخراج محمد توفيق، و"العربانة" لهادي ماهود. وقد سبق لجمال أمين أن اشترك في عدد من الأفلام الروائية المميزة في السينما العراقية من بينها "تحت سماء واحدة" لمنذر جميل، و"اللوحة"، و"البَنْدُول" لكارلو هارتيون، و"بيوت في ذلك الزقاق" للمخرج المعروف قاسم حول.

تدور قصة فيلم "العربانة" حول رجل مجنون يقود عربانة العراق إلى الهلاك. يتوفر الفلم على خطاب بصري لافت للانتباه، كما تنطوي بنيته السردية على محمولات رمزية كثيرة. فلقد أراد المخرج أن يروي للمتلقين الأحداث الجسيمة التي مرَ بها العراقيون في حقبة النظام الشمولي السابق. لم يعتمد المخرج ماهود في إيصال رسالته الفنية على خطاب تقريري مباشر يمكن للمُشاهد أن يجده في الأخبار والتقارير الصحفية العابرة، وإنما هو يعوّل دائماً على اللغة السينمائية البليغة. وعلى مدى أحد عشر مشهداً أوجز هادي ماهود رؤيته الإخراجية التي تتمحور حول عرض عدد غير قليل من الثيمات الفرعية التي تصب جميعها في خدمة الثيمة المهيمنة للفلم وهي الحروب المتلاحقة التي مرّ بها العراق بفعل الدكتاتور الذي كان يقف على حافة الجنون، ويتخذ القرارات العشوائية الطائشة التي أفضت في نهاية المطاف إلى تحويل المضايف المبنية من القصب، وهي رمز كبير للأسر والقبائل العراقية في وسط العراق وجنوبه، إلى أماكن ترعى فيها الأغنام والماشية. لا شك في أن الحروب تكشف عن جملة من القيم المتخلفة وتُظهرها إلى السطح حيث تتسيّد الصَورة المشوّهة للدين، كما تهيمن العادات والتقاليد البالية على المجتمع وتصادر حقه في التفكير والاجتهاد، فلا غرابة أن يدهمنا الموروث الشعبي الذي نراه مُجسداً في الطاشوشة"، أي العرّافة، وهي تلقي بالأحجار في سلّتها المصنوعة من الخوص. كما سنلاحظ لاحقاً كيف يقودنا المخرج عن قصد إلى الموروث الحسيني الذي تتفاقم حدّته في الحروب والمحن الكبيرة التي تحصد أرواح العراقيين، ولعل الإشارة إلى اللازمة التي تكررها النائحات "اليوم الوالي مضيّعينه" هي خير مثال لهذا الحزن العراقي المتأصل في النفوس وكأنه قدر لا فرار منه، فهنّ يندبن الأولاد والأزواج والأحبة. وعلى الرغم من المشاهد المؤسية كلها إلا أن هادي ماهود ختم فيلمه بنهاية تفاؤلية تحمل الكثير من الأمل للعراقيين. فالأطفال الذين يحملون البالونات الملوّنة ويغنون أغاني جميلة تحمل قدراً كبيراً من البراءة يدفع بالمتلقين إلى التشبث ببصيص الضوء الذي نراه في نهاية النفق.

أثار فيلم "العربانة" العديد من الأسئلة التي تمحورت حول الثيمة الأساسية للفيلم من جهة وحول أداء الشخصيات الرئيسية من جهة أخرى، وبالذات قائد "العربانة" المجنون الذي يحمل جندياً متعباً يستذكر الأحداث الجسيمة التي مرّ بها خلال الحروب التي خاضها العراقيون على مدى ثلاثة عقود ونصف العقد. يصّر جمال أمين، الشخصية المستضافة في الأمسية السينمائية، على أنه البطل الرئيسي في الفيلم لأنه هو الذي يقود "عربانة" العراق إلى المجهول، بينما ارتأى المخرج هادي ماهود في أثناء مونتاج الفيلم بأن يكون طه المشهداني هو صاحب البطولة المطلقة للفيلم، خصوصاً وأنه يتواجد على ظهر العربانة منذ بداية الفيلم إلى نهايته، ويتذكر خلال تواجده المشاهد العصيبة التي مرّ بها ودفعته ذات مرّة لأن ينزع خوذته العسكرية ويرميها بعيداً عنه في إشارة واضحة إلى نبذ الحرب ومحاولة يائسة للتخلص من أدواتها التي تحيل مباشرة إلى أتونها. أثنى المخرج أكرم جمعة على قدرة هادي ماهود في إدارة طاقم عمل الفيلم برمته الذي يتكوّن من ممثلين محترفين وأناس عاديين، إضافة إلى الطاقم التقني بمن فيهم الموسيقي والمونتير وأصحاب المؤثرات الصوتية والبصرية، لكنه اعترض على أن تكون العربانة هي المعادل الموضوعي للعراق ودليله في ذلك أن الفيلم انتهى نهاية تفاؤلية سعيدة توحي بكثير من الأمل الذي زرعه الأطفال المحتفون بالحياة. شارك في نقاش ثيمة الفيلم والتعليق على وحداته البصرية عدد كبير من الحاضرين نذكر منهم دلال جويد، ثناء البصام، بدور الددة، ورود الموسوي، بحر كاظم، عمر صكبان، وآخرين لا يسع المجال لذكرهم جميعاً. واختتم الكاتب خالد القشطيني الأمسية حينما قال: "إن المثقف العراقي يصرف من جيبه الخاص لكي يصنع فيلماً أو يؤلف كتاباً أو يبدع لوحة فنية، ليس في العراق حسب، وإنما في الوطن العربي كله، ولذلك فهو يستحق أن نبني تمثالاً للمثقف المجهول، بدل أن نبني تمثالاً للجندي المجهول"!